

منهج الشيخ ابن عثيمين في شرح الأربعين النووية

إعداد

د. عبدالله بن حمد اللحيدان

الأستاذ المشارك بقسم السنّة وعلومها

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

بحث محكم مقدم لـ :

ذروة جهنم الشيخ محمد العثيمين العلمية

612 Blank

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين... وبعد:

فإن من نعم الله جلَّ وعلا على هذه الأمة، أن هياً لها علماء أتقياء أوفياء، في كل عصر ومصر، يسترشدون بالعلم ويرشدون به غيرهم، يتعلمونه من علمائهم ومشايخهم، وينقلونه إلى من بعدهم بأمانة وصدق وإخلاص، يحفظون العلم - بإذن الله - من الانحراف والضلال، من البدع والخرافات. من الزيغ عن المنهج الرباني.

ولقد هياً الله للعلم والمعرفة في هذا العصر، سماحة الشيخ محمد العثيمين ~، فما من علم من العلوم الشرعية، أو الأدبية، أو اللغوية، أو التاريخية إلا وله باع طويل فيه تنقيهاً ودراسة، واستنتاجاً وشرحاً.

ولقد حباه الله سلامة في الأسلوب، وجودة في التعبير، ودقة في المحاوراة والمناقشة بأسلوب عصري، يفهمه العامة والخاصة، يعتمد على الدليل في جل أقواله ~. ولذا ينبغي أن يُهتم بكتبه ومدوناته، والتي هي أكثر من أن تُحصى.

وإن من العلوم التي اهتم بها ~ علم الحديث جمعاً، ودراسةً واستنتاجاً وتخریجاً وشرحاً وفقهاً، فأردتُ أن أبرز منهجه في شرحه للأحاديث.

ولقد فتشتُ في عدد من مؤلفاته لشروح الأحاديث لاستنتاج منهجه، واستظهار طريقته، فوجدتُ أنها ما بين طويل يصعب الخوض فيه، والتنقيب عمماً فيه من فوائد لطوله، وما بين كتب لم تكتمل بعد طباعتها، وما بين رسائل صغيرة لا تفني بالمطلوب. فوقع نظري على شرحه لكتاب الأربعين النووية، ونظراً لتوسطه بين المطولات،

والمختصرات، رغبت أن أستظهر منهجه في شرحه للأحاديث من خلال هذا الكتاب، والتمعن في أسلوبه، وطريقة عرضه للمسائل الفقهية والعقدية واللغوية والأدبية على أن الكتاب سبق شرحه من أربعة أئمة كبار، هم: ابن دقيق العيد^(١)، وابن رجب الحنبلي^(٢)، وابن حجر الهيتمي^(٣)، والمدابغي^(٤).

* ولقد تميز شرح شيخنا لكتاب «الأربعون النووية» بما يأتي:

أولاً: أن الشرح يعتبر مختصراً مقارنةً بالشروح الأخرى، مما يحقق أكبر الفائدة لدى العامة.

ثانياً: ركّز على الشرح للمتون، واختصر الكلام في علل الأحاديث، أو ذكر طرقها وتخريجها، فلم يتعرض إلا للقليل منها، على ما سيأتي بيانه في ثنايا البحث، لذا فشرحه يناسب العامة أكثر من المتخصصين في علم الحديث.

ثالثاً: سهولة أسلوبه ومحاكاته في كثير من القضايا للمفهوم المعاصر؛ تقريباً لمفهوم القارئ.

رابعاً: كثرة ضربه للأمثلة من الواقع المعاصر، تقريباً لمفهوم القارئ.

(١) هو: محمد بن علي بن وهب بن مطيع، أبو الفتح. من أكابر العلماء بالأصول. وُلِدَ في ينبع وتعلم بدمشق والاسكندرية والقاهرة. توفي سنة ٧٠٢هـ. له مصنفات كثيرة، منها: إحصاء الأحكام، وشرح الأربعين النووية [الدرر الكامنة: ٩١/٤].

(٢) هو: عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السَّلَامِي، أبو الفرج. الحافظ من العلماء الكبار. وُلِدَ في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ. له مصنفات كثيرة، منها: جامع العلوم والحكم، والقواعد الفقهية، ولطائف المعارف وغيرها [شذرات الذهب: ٣٣٩/٦].

(٣) هو: شهاب الدين أحمد بن الحجر المكي الهيتمي. كان من أعظم علماء عصره وفقهاء دهره. تتلمذ على الشيخ زكريا المصري الآخذ عن الحافظ ابن حجر العسقلاني. توفي سنة ٩٧٥هـ. له مصنفات منها: الفتح المبين بشرح الأربعين، شرح الشئائل للترمذي، والزواجر عن اقتراف الكبائر وغيرها [أبجد العلوم: ١٦٤/٣].

(٤) هو: حسن بن علي بن أحمد بن عبدالله المنطاوي الأزهري الشافعي. توفي بمصر سنة ١١٧٠هـ. له: حاشية على شرح الأربعين لابن حجر، وحاشية على الأشموني [هدية العارفين: ١/٢٦٨، ٢٦٩].

التمهيد

أولاً: ترجمة موجزة للإمام النووي

نسبه: هو شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن ابن حسين بن محمد جمعة بن حزام. الفقيه الشافعي، قال الإمام الذهبي: هو الإمام الحافظ الأوحى القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء الحزامي الحوراني الشافعي صاحب التصانيف النافعة^(١).

مولده ونشأته: ولد في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وقدم دمشق بعد تسع عشرة سنة من عمره في سنة تسع وأربعين. فسكن بالمدرسة الرواحية، فحفظ التنبيه في أربعة أشهر ونصف، وقرأ ربع المذهب حفظاً في باقي السنة على شيخه الكمال إسحاق بن أحمد، ثم حجَّ مع أبيه، وأقام بالمدينة النبوية شهراً ونصفاً ومرض أكثر الطريق^(٢).

دراسته: قال الإمام الذهبي: ذكر شيخنا أبو الحسن بن العطار أن الشيخ محيي الدين ذكر له أنه كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على مشايخه شرحاً وتصحيحاً: درسين في الوسيط، ودرساً في الجمع بين الصحيحين، ودرساً في صحيح مسلم، ودرساً في اللمع لابن جنبي، ودرساً في إصلاح المنطق، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه، ودرساً في أسماء الرجال، ودرساً في أصول الدين، قال: وكنت أعلق جميع ما يتعلق بها من شرح مشكل، ووضوح عبارة، وضبط لغة، وبارك

(١) تذكرة الحفاظ: [٤/١٤٧٠].

(٢) شذرات الذهب: [٥/٣٥٤].

الله تعالى في وقتي، وخطر لي أن أشتغل في الطب، واشترت كتاب القانون فأظلم قلبي، وبقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال، فأشفقت على نفسي وبعث القانون فأنازل قلبي^(١).

مشايخه: سمع من الرضي بن البرهان، وشيخ الشيوخ عبدالعزيز بن محمد الأنصاري، وزين الدين بن عبد الدائم، وجمال الدين بن الصيرفي، وشمس الدين ابن أبي عمر وطبقتهم، وسمع الكتب الستة والمسند والموطأ وشرح السنة للبخاري وسنن الدارقطني، وقرأ الكمال للحافظ عبد الغني علي الزين، وتفقه على الكمال إسحاق المغربي. وقرأ النحو على الشيخ أحمد المصري وغيره، وقرأ على ابن مالك كتاباً من تصنيفه^(٢).

تلامذته: تخرَّج به جماعة من العلماء، منهم الخطيب صدر الدين الجعفري، وشهاب الدين الأربدي، وشهاب الدين بن جعوان، وعلاء الدين العطار، وحدث عنه ابن أبي الفتح، والمزي، وابن العطار، وغيرهم^(٣).

صفاته وأخلاقه: كان ~ على جانب كبير من العلم والعمل والورع والزهد والصبر على خشونة العيش، والمصابرة على أنواع الخير، لا يصرف ساعة في غير طاعة، يتقوّت من جراية المدرسة الرواحية، ومما يأتيه من بلده من عند أبويه، وكان يتصدق منها أحياناً، وكان كثير السهر في العبادة والتصنيف، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، متابعاً للسلف من أهل السنة والجماعة، وكان كثير التلاوة للقرآن والذِّكر، مُعْرِضاً عن الدنيا، مقبلاً على الآخرة^(٤).

(١) تذكرة الحفاظ: [٤/ ١٤٧٠].

(٢) تذكرة الحفاظ: [٤/ ١٤٧١].

(٣) الأذكار، مقدمة المحقق: [ص: ١١].

(٤) ينظر: شذرات الذهب: [٥/ ٣٥٦].

وفاته: قال الإمام الذهبي ~: سافر الشيخ فزار بيت المقدس وعاد إلى نوى، فمرض عند والده فحضرته المنية، فانتقل إلى رحمة الله في الرابع والعشرين من رجب سنة ست وسبعين وستائة^(١).

من تصانيفه: الأربعون النووية، شرح صحيح مسلم، رياض الصالحين، الإرشاد في أصول الحديث، الإشارات إلى بيان الأسماء المبهمة، الأصول والضوابط، بستان العارفين، التبيان في آداب حملة القرآن، التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير، منهاج الطالبين، الروضة في الفروع، شرح المهذب وهو المجموع، غيث النفع في القراءات السبع، تحفة الطالب النبيه في شرح التنبيه، المبهم على حروف المعجم وغيرها كثير^(٢).

(١) تذكرة الحفاظ: [٤/١٤٧٣].

(٢) كشف الظنون: [١/٩٦، ١١٥، ٢١٠، ٣٤٠، ٢٤٤، ٣٤١-٣٧٩، ٣٩٨، ٤٦٥، ٤٩٠، ٥١٤، ٥٥٠، ٦١٧-٦١٨، ٦١٩، ٩٢٩-٩٣٠، ٩٣٦].

ثانياً: ترجمة موجزة لسماحة شيخنا ~

نسبه ومولده ونشأته: هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن سليمان بن عبدالرحمن ابن عثمان الوهبي التميمي. وُلِدَ في مدينة عنيزة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ. طلب العلم ~ منذ صغره، وظهرت نجابته وملكة حفظه لدى شيخه عبدالرحمن السعدي، فاهتم به وقرّبه^(١).

أمّا ما يتعلق ببقية ترجمته ~ فسأقتصر على ما أعرفه عنه مباشرة، أو نقل أحد عنه أظن أنه لم يتعرّض له من قبل الباحثين. حتى لا يحصل تكرار في الترجمة. ولعلّ المهتمين بالندوة والقائمين عليها يجمعون شتات ما ذُكِرَ عنه ~.

مكانته العلمية: كان ~ واسع العلم، كثير المطالعة، بحراً متلاطم الأمواج، ما يدخل في فن ويتكلم فيه إلا وترى أنه تخصصه، كانت ألفاظه درر وعباراته مطر، وأقواله حبات لؤلؤ ينثرها على الأمة عند كلامه. فاز ~ على أقرانه: حدّثني سماحة والدنا الشيخ صالح بن محمد اللحيان، قال: كنا ندرس في الكلية، وكان المتعارف عليه في المستوى الذي يدرس فيه الشيخ محمد - أن الذي يأخذ الأول هو أحد الطلاب - فلما جاء الشيخ محمد ~ إلى الكلية، تفوّق على الجميع فأخذ الأول. قال الشيخ: فقلتُ لصاحبنا: ما بالك يا فلان لم تأخذ الأول وأخذه محمد العثيمين؟ فقال لي: محمد العثيمين من حسبة المدرسين لا من حسبة الطلاب، لسعة علمه، وبروزه فيه.

ذهبتُ إلى عدد من البلاد الإسلامية فاستشعرت الاهتمام به عندهم، بأقواله وآرائه ~ والانصياع إليها عند الاختلاف.

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين: [٩/١].

كان يعتمد النص في أقواله وفتاويه، لشيخ الإسلام ابن تيمية ~ تأثير ظاهر عليه في المناقشة والمحاورة والاستدلال، ولشيخه الشيخ عبدالرحمن السعدي ~ تأثير كبير عليه أيضاً، حيث أن شيخه هو أول من كسر حاجز المتابعة للمذهب، واعتماده على الدليل حتى ولو خالف المذهب. وكذا الشيخ عبدالعزيز ابن باز ~، فله تأثير عليه.

منهجه ~ الدعوي: كان ~ يدعو دائماً إلى الاعتدال والتوسط، ويحذّر من الغلو والإفراط فيه. يدعو إلى التأي والتريث والتثبت.

- دخلت عليه مرة مع أحد زملاء في مجلسه، ونحن نحمل همماً، وحماساً وصورة قائمة عن المستقبل، ونحدثه عن المخالفات الشرعية في نظرنا، وإذا به الأب الحنون، والمرشد الحكيم، والمربي البارع، بعيد النظر، متأنياً في قبوله للرأي الآخر ومناقشته، متأنياً في التوجيه والنصح والإرشاد. وإذا به ~ يوجهنا، ويرشدنا إلى التأي والتثبت، والصبر وسعة الصدر، ويحذّر من الحماس الزائد والتسرّع في الأحكام، فإن ذلك مما يسبب الاختلاف والفرقة.

كثيراً ما يحث على طاعة ولاة الأمور ويذكر ما فيها من مصالح، ويحذّر من مخالفتهم وما تسببه من مفسد.

مكانته في الكلية: أمّا عند الطلاب، فحرصهم على التلقّي عنه ظاهر، وتنافسهم في احتضانه أكثر، كان ~ يخرج من قاعة إلى قاعة لا يرتاح بينهما، والطلاب معه يجيب على أسئلتهم واستفساراتهم. وهذا ديّدنه طوال محاضراته.

أمّا عن مكانته في مجلس الكلية، فكان أنموذجاً في المناقشة والمحاورة الهادئة الهادفة، يصغي لآراء الآخرين، ويقبلها إذا كانت إيجابية ولو كانت مخالفة لرأيه. كنا نؤجل الموضوعات المهمة لحين حضوره، فهو كالعلم الذي يرفرف فوق قرارات

الكلية، فلا يعارضه أحد من منسوبي الجامعة.

مكانته في نفوس العامة والخاصة: مَلَكَ ~ قلوب الناس، بما أعطي من علم ثاقب، واطلاع واسع ومناقشة هادئة، وصلاح ظاهر، وأخلاق عالية، فما ذُكِرَ في مجلسٍ إلاَّ وأصغت المسامع لقوله والحديث عنه، بل والاقتراء به حتى في الأمور العادية.

برز برهان مكانته عندهم يوم وفاته ~، فما أن علم الناس بوفاته، حتى اسوَدَّت الدنيا في وجوه العامة والخاصة، وتنادوا فيما بينهم للذهاب للصلاة عليه في مكة حيث صلى عليه هناك، وقد قابلت عدداً من الناس في الحرم، وأعرف أنه ما جاء بهم إلاَّ الصلاة عليه ~، وبعد الصلاة عليه، حُمِلَ على الأكتاف إلى المقبرة، فرأيتُ العجب في تراحم الناس، وامتلأت الشوارع والطرقات، وما وصلنا قرب المقبرة إلاَّ بعد عناء ومشقة، وهناك رأيتُ أعجب مما مضى، فقد صعدتُ على جبل قرب المقبرة، والناس تتزاحم على الصعود، لتراقب من بعيد، فرأينا الناس داخل وخارج أسوار المقبرة، قد ملؤا المواقع القريبة من المقبرة. فتذكرتُ قول أحد السلف: (الموعد يوم المقابر) في مناقشته مع أحد أهل البدع.

زهده وورعه: كان ~ وَرِعاً لا يأخذ إلاَّ ما يراه حقاً ظاهراً له، وأذكر ثلاث قصص تؤكد ذلك:

الأولى: حينما كان رئيساً للقسم، وكنتُ عميداً للكلية، فقد ردَّ المبالغ التي جاءتة مكافأةً لرئاسة القسم، بسبب كما يقول أنه لم يقيم بالعمل كما يُراد...؟!!

الثانية: قابلته في آخر رؤية له ~ في الجامع بعنيزة، كغيري من الناس، وقد اجتمع عليه عدد من الناس ما بين مُسَلِّم، وسائل، وكنتُ أريد السلام فقط بعد رحلته العلاجية. فلما انتهى من صلاته، سلَّمتُ عليه، فرغبتُ بالانصراف، فقال لي: انتظر، فانتظرتُ بجانبه حتى انتهى الناس، فأصغى إليَّ قائلاً: أنا آخذ راتب وأنا

لا أشتغل، كما ترى، فهل يجلب لي أخذه. فقلت: سبحان الله، أولاً: مثلك يُسأل، لكنه ~ أراد الاطمئنان. ثانياً: أنت لم تبخل على الناس بوقتك ولا حتى في ظروفك الصحية الصعبة. ثالثاً: النظام يسمح لك بهذا، فراتب التقاعد أولاً، ثم المريض أيضاً يسمح له بذلك، وهذا نظام الدولة وفقهم الله. فقال: جزاك الله خيراً طمأنتني.

الثالثة: حدثني أحد الزملاء، قائلاً: طلب مني الشيخ أن أذهب به من الكلية لداخل بريدة لشراء آلة تصوير، فقلتُ له لِمَا رَكِبَ معي: أليس معك سيارة وسائق على حساب الدولة، أين السائق؟ فقال: لا، أُعْطِيتُ السيارة لما ينحصر العمل، فلا يجوز استخدامها في مشاغلي الخاصة.

تواضعه ~ وتقليله من مكانته وشأنه: أمّا تواضعه ~ ، فظاهر للعيان. سأله أحد الزملاء، وكنا في إحدى الاستراحات، فقال له: تقصير الثوب إلى أنصاف الساقين، ما حكمه؟ فقال: سُنة. قال له: لمّ لم تقصر ثوبك لتطبق السنة. فقال لا، أحياناً ينقلب إلى شهرة، فلو أن الشيخ عبدالعزيز بن باز وأمثاله، قَصَّرَ ثوبه فلا يخاف عليه من الشهرة، أمّا أنا فأخاف من الشهرة تواضعاً عجبياً في إبعاد نفسه من أن يكون قدوة للآخرين.

عدله وإنصافه: كان ~ عادلاً منصفاً حتى مع أقربائه وخواصه لا يرغب في تقديمهم على غيرهم، يقدم المصلحة العامة على الخاصة، تقدّم إليه أحد المعيدين المقربين منه، بل ومن طلابه المتميزين راجباً شفاعته بانتقاله من قسم إلى قسم آخر، فقبل شفاعته، وتقدّم إلينا بذلك، فرحبنا بشفاعته، ولكن قلنا: يا شيخ هذا القسم كثيراً ما يرغب عنه الطلاب، والكل يرفضه عند التعيين، وإذا عُيِّنَ فيه حاول الانتقال وهذا طريق إلى إغلاق القسم، أو استمرار التعاقد فيه، والأمر لك: إن شئت قبلنا، وإن شئت رددنا، قال ~ : لا، لا، هذا لا يجوز، اتركوه في قسمه.

طَلَّابُهُ: جَلَّ النَّاسُ فِي عَصْرِهِ، عِيَالٌ عَلَيْهِ ~ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ وَتَحْصِيلِهِ، فَأَكْثَرَ طُلَّابِ الْعِلْمِ الْمَوْجُودِينَ فِي الْمُنْطَقَةِ وَغَيْرِهَا، هُمْ تَلَامِيذُهُ، حَتَّى أَقْرَانَهُ ~ قَدْ أَصْغَوْا إِلَيْهِ، وَأَخَذُوا عَنْهُ، وَتَنَاقَلُوا أَقْوَالَهُ وَفَتَاوَاهُ، حَضَرَتْ لَهُ بَعْضُ الدَّرُوسِ، وَالْمَحَاضِرَاتِ وَالنَّدَوَاتِ وَاللِّقَاءَاتِ وَالْاجْتِمَاعَاتِ الَّتِي كَانَ لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي النَّفْسِ، وَلَوْ كَانَتْ قَلِيلَةً. ~ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ وَأَسْكَنَهُ فَسِيحَ جَنَاتِهِ.

صِفَاتُهُ الْخُلُقِيَّةُ: كَانَ ~ دَمِثَ الْأَخْلَاقِ، خَفِيفَ النَّفْسِ، طَيِّبَ الْقَلْبِ، صَادِقَ اللَّهْجَةِ، لَا يُمَلِّ مَجْلِسَهُ الْعَادِي لِحُبِّهِ لِلْمَزَاحِ وَمِدَاعِبَةِ الْآخِرِينَ، فَكَانَ يِمَازِحُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ ~ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ. كُنَّا فِي إِحْدَى الْإِسْتِرَاحَاتِ مَرَّةً، وَكَانَتْ لَيْلَةٌ شَاتِيَةً، وَكَانَ الْقَرِيبُونَ مِنْهُ قَدْ ظَهَرَ تَأَثُّرُهُمْ بِالْبُرُودَةِ فَكَانَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ وَيَقُولُ: هِيَ هِيَ بَرْدٌ. وَكَانَ ~ مَعْرُوفٌ عَنْهُ أَنَّهُ لَا يَحْسُ بِالْبَرْدِ، حَتَّى لَبَّاسَهُ كَانَ لَبَّاسًا صَيْفِيًّا فِي وَسْطِ الشِّتَاءِ.

صَبْرُهُ وَتَحَمُّلُهُ: جَلَسَ لِلتَّدْرِيسِ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةً لَا يَحْضُرُ دَرْسَهُ إِلَّا الْعَدَدُ الْقَلِيلُ، وَمَا عَرَفَ عِلْمَهُ، وَعَلَا صَبِيئَتَهُ وَارْتَفَعَتْ سَمْعَتُهُ، وَظَهَرَتْ مَكَانَتُهُ إِلَّا فِي السَّنَوَاتِ الْآخِرَةِ مِنْ عَمْرِهِ، حِينَهَا تَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُ الْفِتَنِ، وَعَصَفَتْ الْبِدْعُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ يَمِينَةً وَيَسْرَةً، وَظَهَرَتْ الْفِرْقُ وَالْإِخْتِلَافَاتُ، وَحَصَلَ التَّصَادُمُ وَالتَّنَاحَرُ. ظَهَرَ قَوَادِمُ الْحَقِّ، ظَهَرَ أَهْلُ الصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ، ظَهَرَ الْبَارِزُونَ فِي عِلْمِهِمْ، الْمَخْلُصُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، الْجَادُونَ فِي حَيَاتِهِمْ... فَكَانَتْ لَهُ مَكَانَتُهُ، وَمَنْزِلَتُهُ الْعَالِيَةُ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ.

- فَمَوَاقِفُهُ ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ ضِدَّ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْإِنْحِرَافَاتِ، ضِدَّ الْغُلُوِّ وَالتَّطَرُّفِ، ضِدَّ كُلِّ بَاغٍ وَبَاغِيَةٍ. يَنْشُدُ الْحَقَّ أَيًّا كَانَ مَوْقِعُهُ لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

- كَثِيرًا مَا كَانَ يَحْدِّثُنَا ~ عَنْ مَوَاقِفِهِ مَعَ بَعْضِ الْمَسْئُولِينَ، وَوَعُودِهِمْ لَهُ

وتقديرهم له، ليطمئننا عن الأحوال والأمور.

حُرِّصَ على العطاء والتعليم حتى آخر لحظة من حياته، ففي آخر ليلة من رمضان، كان في المستشفى في جدة، طلب أن يعود إلى مكة لإلقاء بعض الدروس، فرفض الأطباء ذلك، فألح عليهم فوافقوه بعد الإلحاح منه وشاركوه الذهاب، فكان يلقي دروسه مع ما يعانيه من المرض. ثم توفي بعد ذلك بأيام ~ رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا وإياه ووالدينا وذرياتنا وأزواجنا وأحبابنا وجميع المسلمين في جنات النعيم.

وفاته: توفي ~ في يوم الأربعاء، الخامس عشر من شهر شوال لسنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ. بعد أن ملأ الدنيا علماً وتأليفاً وطلاباً واجتهاداً. وقد ترك فراغاً في الساحة العلمية، والدعوية، والسياسية، رحمه الله رحمةً واسعة وعوض الأمة خيراً منه... آمين.

ثالثاً: التعليق على مقدمته في شرحه للكتاب

* ثناؤه على الإمام النووي ~ قال ~ بعد الاستفتاح :- (أمّا بعد فإن الحافظ النووي ~ من أصحاب الشافعي المعتبرة أقوالهم، ومن أشد الشافعية حرصاً على التأليف. وقد ألّف في فنون شتى: في الحديث وعلومه، وألّف في علم اللغة كتاب (تهذيب الأسماء واللغات)، وهو في الحقيقة من أعلم الناس)^(١). وقال ~ : (والظاهر - والله أعلم - أنه من أخلص الناس في التأليف، لأن تأليفاته ~ انتشرت في العالم الإسلامي، فلا تكاد تجد مسجداً إلا ويقرأ فيه كتاب (رياض الصالحين)، وكتبه مشهورة مبثوثة في العالم، مما يدل على صحة نيته، فإنّ قبول الناس للمؤلفات من الأدلة على إخلاص النية)^(٢). وقال ~ أيضاً: (فالنووي نشهد له فيما نعلم من حاله بالصلاح، وأنه مجتهد، وأن كل مجتهد يصيب وقد يخطئ، إن أخطأ فله أجر واحد، وإن أصاب فله أجران)^(٣). وقال ~ في كلامه عن البدع: (وأضرب مثلاً بحافظين معتمدين موثوقين بين المسلمين وهما: النووي، وابن حجر رحمهما الله. فالنووي: لا نشك أن الرجل ناصح وأن له قدم صدق في الإسلام، ويدل لذلك قبول مؤلفاته)^(٤).

* اعتذاره عن الإمام النووي قبل نقده له: وجه سماحة شيخنا انتقاداً للإمام النووي يتعلق بالعميقة، لكنه ~ ، قبل انتقاده له في ذلك اعتذر عنه - وهذا من أعلى درجات الاعتذار والدفاع، وطمأنة القارئ بما يقرؤه عن الإمام النووي -

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٧].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٧].

(٣) المرجع السابق نفسه: [ص: ٨].

(٤) المرجع السابق نفسه: [ص: ٣١٤].

حيث ضلَّ في هذا الجانب أناس سيأتي إيضاح كلامه عنهم في المبحث اللاحق - فقال: وهو ~ مجتهد، والمجتهد يخطئ ويصيب. قال: وقد أخطأ ~ في مسائل الأسماء والصفات، فكان يؤول فيها، لكنه لا ينكرها فمثلاً: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الفرقان: ٥٩)، يقول أهل التأويل معناها: استولى على العرش، لكن لا ينكرون ﴿أَسْتَوَى﴾ لأنهم لو أنكروا الاستواء تكذيباً لكفروا. فهم يصدقون به ولكن يحرفونه^(١).

* دفاعه عن الإمام النووي في معتقده: قال ~ بعد أن أوضح الخطأ الذي وقع فيه الإمام النووي: (ومثل هذه المسائل التي وقعت منه ~ خطأ في تأويل بعض نصوص الصفات إنه لمغمور بما له من فضائل ومنافع جمّة، ولا نظن أن ما وقع منه إلا صادر عن اجتهاد وتأويل سائغ - ولو في رأيه - وأرجو أن يكون من الخطأ المغفور، وأن يكون ما قدّمه من الخير والنفعة من السعي المشكور، وأن يصدق عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤)، ولقد ضل قوم من الخلف الخالفين الذين أخذوا يسبونهُ سباً عظيماً حتى بلغني أن بعضهم، قال: يجب أن يحرق شرح النووي على صحيح مسلم.. نسأل الله العافية)^(٢).

* ثناؤه على الكتاب، وذكر عدد أحاديثه: قال ~: (وقد ألف مؤلفات كثيرة، من أحسنها هذا الكتاب: (الأربعون النووية) وهي ليست أربعين، بل هي اثنان وأربعون، لكن العرب يحذفون الكسر في الأعداد فيقولون: أربعون وإن زاد واحداً أو اثنين، أو نقص واحداً أو اثنين)^(٣). قال ~: (وهذه الأربعون

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ~: [١٧٦/١].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٨].

(٣) المرجع السابق.

ينبغي لطالب العلم أن يحفظها، لأنها منتخبة من أحاديث عديدة وفي أبواب متفرقة بخلاف غيرها من المؤلفات، فلو نظرنا إلى عمدة الأحكام لوجدناها منتخبة، لكنها في باب واحد وهو باب الفقه. أمّا الأربعون النووية فهي في أبواب متفرقة متنوعة^(١). ثم في نهاية شرحه للأحاديث. قال ~ عند آخر حديث أورده الإمام النووي في آخر شرحه له: (ومن حسن تأليف المؤلف أنه جعل هذا الحديث آخر الأحاديث التي اختارها ~ المختوم بالمغفرة، وهذا يسمى عند البلاغيين: براءة اختتام)^(٢).

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) المرجع السابق نفسه: [ص: ٤٣٨].

الفصل الأول

منهجه في إيراد الأحاديث والكلام عن أسانيدھا

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: طريقة إيراده لنصوص الأحاديث.

المبحث الثاني: تخرجه للأحاديث.

المبحث الثالث: رواة الأحاديث.

المبحث الرابع: كلامه على المصطلحات الحديثية.

المبحث الخامس: الحكم على الأحاديث.

المبحث الثاني

تخريجه للأحاديث

في التخريج سار على مسلكه السابق في المبحث الأول في إيراد الحديث، بحيث أنه لا يذكر من التخريج إلا ما ذكره الإمام النووي ~، ويقتصر عليه، بل حتى الأحاديث التي تحتاج إلى إيضاح أكثر فيمن أخرجها من غير البخاري ومسلم لم يتعرض لها. وقد ترك حديثاً واحداً لم يذكر من أخرجه، وهو الحديث الحادي والعشرون، مع أن الإمام النووي ~ قد نسبه لمسلم ~ وكذا بقية الشراح فقد نسبوه لمسلم كما فعل النووي ~^(١)، فقال: رواه مسلم^(٢).

ولعله سهو من شيخنا ~، أو من الطابع وهو الأقرب، حيث أنه ليس من عادته ترك ما ذكره الإمام النووي رحمه الله. يشرح أحياناً بعض ما قد يظهر فيه الإبهام في ألفاظ التخريج: فقد أورد الحديث التاسع والثلاثين: حديث ابن عباس { ... } ثم قال الإمام النووي ~: رواه ابن ماجه، والبيهقي، وغيرهما. قال: هنا يقول المؤلف ~: رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

(فلو أخذنا كلامه على العموم، لكان رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي لدخول هؤلاء في قوله: (وغيرهما) لكن هذا ليس بوارد، لأن من عادتهم إذا ذكروا المخرجين الذين دون درجة الصحيحين ثم قالوا: وغيرهما. فالمراد من هو دونها أو مثلها، ولا يريدون أن يدخل من هو أعلى منها، لأنهم لو أرادوا من هو أعلى منها لَعَبَبَ على من ذكر الدون وأحال على الأعلى، وهذا واضح، لأن الواجب أن يذكر الأعلى ثم يقال: غيره)^(٣).

(١) جزء فيه الأربعون النووية، وتمتمتها للحافظ ابن رجب: [ص: ١٤]. وانظر: الفتح المبين لابن حجر

الهيثمي: [ص: ٤٣٧]، وشرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد: [ص: ٩].

(٢) في صحيحه في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام: [ج: ٣٨].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤١٣ - ٤١٤].

المبحث الثالث

رواة الأحاديث

يورد الحديث من غير إسناد، وإنما يقتصر على ذكر الصحابي راوي الحديث فقط، ثم يترجم له أحياناً. وقد تنوعت طريقتة ~ في الترجمة للصحابة رواة الحديث:

فأحياناً يتوسع في الترجمة قليلاً، مثاله:

حديث عمر الأول: (إنما الأعمال بالنيات...) (١). فقد ترجم لعمر، فقال: (عن أمير المؤمنين: وهو أبو حفص عمر بن الخطاب <، آلت إليه الخلافة بتعيين أبي بكر الصديق < له، فهو حسنة من حسنات أبي بكر، ونصبه في الخلافة شرعي، لأن الذي عينه أبو بكر، وأبو بكر تعين بمبايعة الصحابة له في السقيفة، فخلافته شرعية كخلافه أبي بكر، ولقد أحسن أبو بكر اختياراً حيث اختار عمر بن الخطاب < (٢).

وحديث عائشة الخامس: فقد ترجم لعائشة >، فقال:

(كُنِّيْتُ عَائِشَةَ > بأم المؤمنين، لأنها إحدى زوجات النبي ﷺ، وجميع أمهات المؤمنين يُكنين بهذه الكنية، كما قال الله عز وجل: ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، فكل زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين. وقوله «أم عبد الله»: هذه كنية، وهل ولد لها > ولد أم لا؟ والجواب: أنه ذكر بعض أهل العلم أنه ولد

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ: [ح: ١]، ومسلم في كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات...» [ح: ١٩٠٧ (١٥٥)].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٩].

لها ولد سقط لم يعيش، وذكر آخرون أنه لم يولد لها سقط ولا حي، ولكن هي تكنت بهذه الكنية لأن أحب الأسماء إلى الله: عبدالله، وعبدالرحمن^(١). وقوله: «عائشة» هذا اسم أم المؤمنين، وهي ابنة أبي بكر الصديق <، تزوجها النبي ﷺ ولها ست سنين، وبنى بها ولها تسع سنين، وروثٌ للأمة علماءً كثيراً وفقهاً غزيراً، فهي > من المحدثات، ومن الفقيهات^(٢).

وحدث الحسن بن علي الحادي عشر: فقد ترجم للحسن }، فقال: (الحسن ابن علي بن أبي طالب } سبط النبي ﷺ، والسبط: هو ابن البنت، وابن الابن يسمى: حفيداً، وقد وصفه النبي ﷺ بأنه سيّد، فقال: (إنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)^(٣)، وكان الأمر كذلك، فإنه بعد أن استشهد علي بن أبي طالب < وبويع بالخلافة للحسن تنازل عنها معاوية <، فأصلح الله بهذا التنازل بين أصحاب معاوية وأصحاب علي }، وحصل بذلك خير كثير. وهو أفضل من أخيه الحسين }، لكن تعلق الرافضة بالحسين لأن قصة قتله < تثير الأحران، فجعلوا ذلك وسيلة، ولو كانوا صادقين في احترام آل البيت لكانوا يتعلقون بالحسن أكثر من الحسين لأنه أفضل منه^(٤).

وأحياناً يوجز في الترجمة، كما في الحديث التاسع عن أبي هريرة، فقد ترجم لأبي هريرة بترجمة موجزة. وحدث عبدالله بن عمرو بن العاص، الحديث الحادي والأربعون، فقد ترجم له ترجمة موجزة، قال فيها: (عبدالله بن عمرو بن العاص } من المكثرين رواية للحديث، لأنه كان يكتب، وكان أبو هريرة < يغبطه

(١) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء: [ح: ٢١٣٢].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١١٣ - ١١٤].

(٣) أخرجه البخاري، في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي <: [ح: ٢٧٠٤].

(٤) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٧٦].

على هذا، ويقول: «لا أعلم أحداً أكثر حديثاً مني عن رسول الله ﷺ إلا عبد الله ابن عمرو }، فإنه كان يكتب ولا أكتب»^(١) (٢).

وأحياناً لا يترجم لهم، وهذا هو الأغلب في الأحاديث التي شرحها. فإنه لم يترجم إلا لعدد قليل. يشير في ترجمته لهم إلى عبارات الترضي عنهم، والفرق بين الأفراد والتثنية، مثاله: قال عند إirاده لحديث عبد الله بن عمر: الحديث الثالث } (قال العلماء إذا كان الصحابي وأبوه مسلمين، فقل: }، وإذا كان الصحابي مسلماً، وأبوه كافراً، فقل: <^(٣)، يعني بالتثنية أو الأفراد. يرد أحياناً بعض الأسماء المبهمة في ثنايا الحديث، فلا يعرج على الكلام عليها، بل ينتقد من يتعب نفسه في البحث عن ذلك: كما في الحديث السادس عشر: حديث أبي هريرة <، أن رجلاً، قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: (لا تغضب)^(٤). قال ~: (لم يبين هذا الرجل، وهذا يأتي كثيراً في الأحاديث لا يبين فيها المبهم، وذلك لأن معرفة اسم الرجل أو وصفه لا يُحتاج إليه، وتجد بعض العلماء يتعب تعباً عظيماً في تعيين هذا الرجل، والذي أرى أنه لا حاجة للتعب ما دام الحكم لا يتغير بفلان أو فلان)^(٥). وكذا في الحديث الثاني والعشرين، حديث جابر <، أن رجلاً سأل النبي ﷺ. قال ~: (يقول جابر <: إن رجلاً سأل النبي ﷺ، وهذا الرجل لا نحتاج لمعرفة عينه، لأن المقصود القضية التي وقعت، ولا نحتاج إلى التعب في البحث عنه، اللهم إلا أن يكون تعيينه مما يختلف به الحكم فلا بد من التعيين)^(٦).

(١) أخرجه البخاري، في كتاب العلم، باب كتابة العلم: [ح: ١١٣].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٢٦].

(٣) المرجع السابق: [ص: ٩٥].

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: [ح: ٦١١٦].

(٥) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٠٥].

(٦) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٣٨].

المبحث الرابع

كلامه على المصطلحات الحديثية

يشير ~ إلى المصطلحات الحديثية التي ترد عند الأحاديث التي يذكرها.
ومن الأمثلة على ذلك:

الحديث الحادي عشر، حديث الحسن بن علي { : عند قول الإمام النووي في الحكم عليه: وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. قال ~ : (والحديث كما قال الترمذي صحيح، لكن في الجمع بين كونه حسناً وكونه صحيحاً إشكالاً، لأن المعروف أن الصحيح من الحديث غير الحسن، لأن العلماء قسموا الحديث إلى: صحيح لذاته، وصحيح لغيره، وحسن لذاته، وحسن لغيره، وضعيف. فكيف يُجمع بين وصفين متناقضين لموصوف واحد: حسن صحيح؟؟ أجاب العلماء عن ذلك: بأنه: إن كان هذا الحديث جاء من طريق واحد فمعناه أن الحافظ شك هل بلغ هذا الطريق درجة الصحيح أو لا زال في درجة الحسن. وإذا كان من طريقين فمعنى ذلك: أن أحد الطريقين صحيح والآخر حسن. وهنا فائدة في: أيهما أقوى أن يوصف الحديث بالصحة، أو بكونه صحيحاً حسناً؟ الجواب: نقول: إذا كان من طريقين فحسن صحيح أقوى من صحيح، وإن كان من طريق واحد فحسن صحيح أضعف من صحيح، لأن الحافظ الذي رواه تردد هل بلغ درجة الصحة أو لا زال في درجة الحسن)^(١).

الحديث الرابع والعشرين، عن أبي ذر الغفاري <، عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل، أنه قال: (يا عبادي إني حرمت الظلم... الحديث)^(٢). قال ~ :

(١) المرجع السابق: [ص: ١٧٨-١٧٩].

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم: [ح: ٢٥٧٧ (٥٥)].

(قوله: «فيما يرويه» الرواية: نقل الحديث «عن ربّه» أي عن الله عزّ وجل، وهذا الحديث يسمى عند المحدثين قدسياً، والحديث القدسي: كل ما رواه النبي ﷺ عن ربه عزّ وجل. لأنه منسوب إلى النبي ﷺ تبليغاً، وليس من القرآن بالإجماع، وإن كان كل واحد منهما قد بلغه النبي ﷺ أمته عن الله عزّ وجل. وقد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي: هل هو كلام الله تعالى، أو أنّ الله تعالى أوحى إلى النبي ﷺ معناه، واللفظ لفظ رسول الله ﷺ؟ على قولين:...)، ثم أسهب ~ في التعريف بالحديث القدسي، والفرق بينه وبين القرآن الكريم والحديث غير القدسي^(١).

والحديث السابع والثلاثون، حديث ابن عباس {، عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه، قال ~: (يسمى هذا الحديث عند العلماء حديثاً قدسياً)^(٢).

وكذا الحديث الثامن والثلاثون، عن أبي هريرة <، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله تعالى، قال: من عادى لي ولياً... الحديث)^(٣). قال ~: (هذا حديث قدسي، كالذي سبقه، وقد تكلمنا على ذلك)^(٤). كما أشار ~ إلى أعلى درجات الصحيح من الحديث: حينما أورد حديث عمر بن الخطاب <: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث)^(٥). فقال؟ بعد ذكر تخريج الإمام النووي ~ له، وأنه خرّجه البخاري ومسلم: (أي صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهما أصحّ الكتب المصنفة في علم الحديث، ولهذا قال بعض المحدثين: إن ما اتفقا عليه لا يفيد الظن فقط بل يفيد العلم. وصحيح البخاري أصحّ من مسلم، لأن البخاري

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٥٨ - ٢٦١].

(٢) المرجع السابق: [ص: ٣٩٨].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع: [٦٥٠٢].

(٤) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٠٧].

(٥) تقدّم تخريجه.

~ يشترط في الرواية أن يكون الراوي قد لقي من روى عنه، وأمّا مسلم فيكتفي بمطلق المعاصرة مع إمكان اللقي وإن لم يثبت لقيه، وقد أنكر على من يشترط اللقاء في أول الصحيح إنكاراً عجيباً. فالصواب ما ذكره البخاري ~ أنه لا بد من ثبوت اللقي. لكن ذكر العلماء أن سياق مسلم ~ أحسن من سياق البخاري، لأنه ~ يذكر الحديث ثم يذكر شواهده ومتابعاته في مكان واحد، والبخاري ~ يفرّق الحديث، ففي الصناعة صحيح مسلم أفضل، وأمّا في الرواية والصحة فصحيح البخاري أفضل.

تشاجر قومٌ في البخاري ومسلم لديّ وقالوا: أي ذين تقدّم
فقلتُ: لقد فاق البخاري صحة كما فاق في حسن الصناعة مسلم

قال بعض أهل العلم: ولولا البخاري ما راح مسلم ولا جاء، لأنه شيخه. فالحديث إذن صحيح يفيد العلم اليقيني، لكنه ليس يقينياً بالعقل وإنما هو يقيني بالنظر لثبوته عن النبي ﷺ^(١).

وأشار ~ إلى المدرج من الحديث، ومثاله: الحديث الرابع، حديث عبدالله ابن مسعود <، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يُجمع خلقه... الحديث)^(٢). قال ~: (وإذا اختلف المحدثون في جملة من الحديث، أمدرجة هي أم من أصل الحديث؟ فالأصل أنها من أصل الحديث، فلا يقبل الإدراج إلاّ بدليل لا يمكن أن يجمع به بين الأصل والإدراج)^(٣). كما أشار ~ إلى عبارات السماع وتكلم عنها، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٧- ١٨].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: [ح: ٣٢٠٨]، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي: [ح: ٢٦٤٣ (١)].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠٣].

الحديث الأول، حديث عمر بن الخطاب <: (إنما الأعمال بالنيات...
الحديث) (١). قال ~: (وفي قوله: «سمعتُ» دليل على أنه أخذه من النبي ﷺ
بلا واسطة) (٢).

وفي الحديث الرابع أيضاً، حديث عبدالله بن مسعود <. قال ~: (قوله
«حدَّثنا» حدَّث وأخبر في اللغة العربية بمعنى واحد، وهي كذلك عند قدماء
المحدِّثين، لكن عند المتأخرين من المحدِّثين يفرقون بين «حدَّثنا» و «أخبرنا»، وعلم
ذلك المذكور في مصطلح الحديث) (٣).

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٩].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٩٩].

المبحث الخامس

الحكم على الأحاديث

الأحاديث التي جمعها الإمام النووي، وسُمِّيت بالأربعين النووية، فيها عدد كبير من غير البخاري ومسلم، فهي بحاجة إلى من يقف على صحتها، ويدرس إسنادها وإن كان الإمام النووي ~ ينقل ما نصَّ عليه العلماء على تصحيح حديث أو أنه يصححه بنفسه ~ . وقد خرَّجها وحكم عليها وتوسَّع في دراستها الحافظ ابن حجر الهيتمي ~ في كتابه «الفتح المبين بشرح الأربعين»، وكذا ابن رجب الحنبلي ~ في كتابه «جامع العلوم والحكم». لذا فإن شيخنا ~ اقتصر على متابعة الإمام النووي ~ في الحكم عليها، فلم يعرج على الحكم على الأحاديث صحة أو ضعفاً إلا في حديثين فقط بإشارة مختصرة وهما: الحديث الثاني والثلاثون: حديث أبي سعيد < قال: قال رسول الله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار... الحديث) (١). قال ~: (يقول المؤلف ~ «حديث حسن رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسنداً») قال: أي متصل السند، وقوله: (رواه مالك في الموطأ مرسلًا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي ﷺ فأسقط أبا سعيد). قال: والحديث إذا سقط منه الصحابي سمي مرسلًا، ولكن النووي ~ قال: «وله طرق يقوي بعضها بعضاً».

قال ~ : ولا شك أنه إذا تعددت طرق الحديث وإن كان كل طريق على انفراده ضعيفاً فإنه يقوى، ولهذا قال الشاعر:

لا تخاصم بواحد أهل بيت فضيفان يغلبان قوياً (٢)

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره: [ح: ٢٣٤٠]، وأحمد:

[٣١٣/١]، والبيهقي: [٧/٦].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٥٥].

وكذا الحديث الحادي والأربعون، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم... الحديث). قال ~ معلقاً على قول النووي: «حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح»: (تعقب ابن رجب ~ هذا التصحيح من المؤلف، وقال: الحديث لا يصح، ولذلك يحسن تتبع شرح ابن رجب ~ ونقل تعقيبه على الأحاديث، لأن ابن رجب ~ حافظ من حفاظ الحديث، وهو إذا أعلّ الأحاديث التي ذكرها النووي ~ بيّن وجه العلة^(١)). قال ~: لكن معنى الحديث بقطع النظر عن إسناده صحيح^(٢).

- وقد يشير ~ إلى ما قد يخطر على بال القارئ من تعجب في انفراد أحد الصحابة برواية حديث ما، مع أهميته.

فقد أورد الحديث الأول، حديث عمر بن الخطاب <، قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات.. الحديث)^(٣).

وقال بعده: (والعجب أن هذا الحديث لم يروه عن رسول الله ﷺ إلا عمر بن الخطاب <، مع أهميته، لكن له شواهد في القرآن والسنة..)^(٤).

ثم أورد ~ عدداً من الآيات والأحاديث التي في معنى الحديث، وأن الأعمال لا تقبل إلاّ بنية.

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٢٦ - ٤٢٧].

(٢) قد أعله ابن رجب ~ في كتابه «جامع العلوم والحكم»: [ص: ٤٦٧]، وتوسع في رد الحديث وإيضاح أسباب تضعيفه. لكن قال الحافظ ابن حجر الهيتمي في «الفتح المبين بشرح الأربعين»: [ص: ٦٦٠]، بعد قوله: بإسناد صحيح: قال بعضهم: هو كما قال وبين ذلك. ويؤيده أن الحافظ أبا نعيم أخرجه في كتابه «الأربعين»، التي شرط أولها أن يكون من صحاح الأخبار وحياد الآثار، ومما أجمع الناقلون على عدالة ناقله، وخرّجه أئمة آخرون في مسانيدهم كالطبراني، والحافظ ابن أبي عاصم، لكن اعترض بعضهم.. وأورده السيوطي في الجامع الكبير مخطوط: [٩١٨/١]، وقال: رواه أبو نصر السجزي في الإبانة، وقال: حسن غريب.

(٣) تقدّم تخرجه.

(٤) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠].

الفصل الثاني

منهجه ~ في شرح الأحاديث

وفيه أربعة عشر مبحثاً:

- المبحث الأول: ذكره للأوجه البلاغية والإعرابية واللغوية.
- المبحث الثاني: ألفاظ الأحاديث.
- المبحث الثالث: تقسيمه الشرح إلى مسائل على طريقة السؤال والجواب.
- المبحث الرابع: تنويعه لطريقة السؤال في المسائل التي يوردها.
- المبحث الخامس: ربطه الشرح بالواقع المعاصر.
- المبحث السادس: تركيزه ~ على الجوانب العقديّة.
- المبحث السابع: توسعه في الجوانب الفقهيّة.
- المبحث الثامن: كثرة ضربه للأمثلة من الواقع مع تنويعها.
- المبحث التاسع: مقارنته بين أشياء متباينة لتقريب الحكم للسامع.
- المبحث العاشر: تنبيهه ~ على الأخطاء.
- المبحث الحادي عشر: ذكره لبعض القصص المهمة.
- المبحث الثاني عشر: كلامه عن بعض قضايا طيبة، أو تاريخية.
- المبحث الثالث عشر: ترده في بعض المسائل الفقهيّة، أو رجوعه عن قوله إلى قول غيره.
- المبحث الرابع عشر: اعتماده في شرحه للأحاديث على فهمه واستنباطه.

المبحث الأول

ذِكْرُهُ لِلأَوْجِهَةِ البَلَاغِيَّةِ وَالإِعْرَابِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ

أولاً: الأوجه البلاغية

اهتم ~ بما يرد في الحديث من بعض القضايا البلاغية أو الإعرابية أو اللغوية الواردة في الحديث، فمن أمثلة ذلك:

١- الحديث الأول: حديث عمر بن الخطاب < قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث) ^(١). قال ~: وفي قوله: «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» من البلاغة: إخفاء نية من هاجر للدنيا، لقوله: «فهجرته إلى ما هاجر إليه»، ولم يقل: إلى دنيا يصيبها، والفائدة البلاغية في ذلك هي: تحقير ما هاجر إليه هذا الرجل، أي ليس أهلاً لأن يذكر، بل يكتفى عنه بقوله: «إلى ما هاجر إليه» ^(٢). وقوله: «من كانت هجرته إلى الله ورسوله»، الجواب: «فهجرته إلى الله ورسوله»، فذكره تنويهاً بفضله، «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، ولم يقل: إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، لأن فيه تحقيراً لشأن ما هاجر إليه، وهي: الدنيا أو المرأة ^(٣).

٢- الحديث السابع: حديث أبي رقية تميم الداري < أن النبي ﷺ، قال: (الدين النصيحة... الحديث) ^(٤). قال ~: «الدين النصيحة» الدين: مبتدأ، والنصيحة خبر، وكل من المبتدأ والخبر معرفة، وعلماء البلاغة يقولون: إذا كان

(١) تقدّم تحريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠ - ١١].

(٣) المرجع السابق: [ص: ١١].

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة: [ح: ٩٥ (٥٥)].

المبتدأ معرفة والخبر معرفة كان ذلك من طرق الحصر، وأبهم النبي ﷺ لمن تكون النصيحة من أجل أن يستفهم الصحابة { عن ذلك، لأن وقوع الشيء مجملاً، ثم مفصلاً من أسباب رسوخ العلم، لأنه إذا أتى مجملاً تطلعت النفس إلى بيان هذا المجمال، فيأتي البيان والنفس متطلعة إلى ذلك متشوقة له، فيرسخ في الذهن أكثر مما لو جاء البيان من أول مرة (١).

ثانياً: الأوجه الإعرابية

١- الحديث الأول: حديث عمر < قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث) (٢): قال ~: (أمّا من جهة الإعراب، وهو البحث الثاني، فقوله: «إنما الأعمال بالنيات»: مبتدأ وخبر، الأعمال: مبتدأ، والنيات: خبره، «وإنما لكل امريء ما نوى»: أيضاً مبتدأ وخبر، لكن قُدّم الخبر على المبتدأ، لأن المبتدأ في قوله «وإنما لكل امريء ما نوى» هو: «ما نوى» متأخر. قوله: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» هذه جملة شرطية، أداة الشرط فيها: مَنْ، وفعل الشرط: كانت، وجواب الشرط: فهجرته إلى الله ورسوله (٣). وأحياناً يختصر القول، ليحيل إلى ما قبله لأنه بمعناه. ومثاله: عندما ذكر الأوجه الإعرابية في قوله: «فمن كانت هجرته...»، قال: وهكذا نقول في إعراب قوله: «ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها» (٤).

٢- الحديث التاسع: حديث أبي هريرة < قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه... الحديث) (٥). قال ~: (قوله «ما نهيتكم

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٣٥ - ١٣٦].

(٢) تقدّم تخريجه.

(٣) شرح الأربعين النووية: ص: ١١.

(٤) المرجع السابق.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة، باب الاقتداء بالسنة: [ح: ٦٧٧٧]، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ: [ح: ١٣٣٧].

٢- الحديث الرابع عشر: حديث ابن مسعود <، قال: قال رسول الله ﷺ:
(لا يجل دم امريء مسلم إلا بإحدى ثلاث: ... الحديث)^(١).
قال ~: «لا يجل دم امريء مسلم» أي لا يجل قتله، وفسرناها بذلك، لأن هذا هو المعروف في اللغة العربية، قال النبي ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»^(٢). وقوله: «امريء مسلم» التعبير بذلك لا يعني أن المرأة يجل دمها، ولكن التعبير بالمذكر في القرآن والسنة أكثر من التعبير بالمؤنث، لأن الرجال هم الذين تتوجه إليهم الخطابات وهم المعنيون بأنفسهم وبالنساء)^(٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: (والأذن بالأذن...): [ح: ٦٤٨٤]، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربن، باب ما يباح به دم المسلم: [ح: ١٦٧٦ (٢٥)].
(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد منكم الغائب: [ح: ١٠٥]، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربن، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال: [ح: ١٦٧٩].
(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٨٨].

المبحث الثاني

ألفاظ الأحاديث

لقد قام ~ بشرح جميع الألفاظ الواردة في الأحاديث التي أوردتها الإمام النووي ~، سواء ما يكون منها لغوياً أو فقهياً أو عقدياً أو غير ذلك مما تحويه من معانٍ متنوعة، ومن أمثلة ذلك:

١- الحديث الثالث والعشرون: حديث أبي مالك الأشعري < قال: قال رسول الله ﷺ: (الطهور شرط الإيمان... الحديث) رواه مسلم^(١).

قال ~: قوله «الطهور شرط الإيمان»: أي نصفه، وذلك أن الإيمان - كما يقولون - تخلية وتخلية. التخلية: بالطهور، والتخلية: بفعل الطاعات. فوجه كون الطهور شرط الإيمان: أن الإيمان إمّا فعل وإمّا ترك. والترك: تطهّر، والفعل إيجاد. فقوله: «شرط الإيمان» قيل معناه: التخلي عن الإشراك لأن الشرك بالله نجاسة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ بَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨)، فلهذا كان الطهور شرط الإيمان، وقيل: إن معناه أن الطهور للصلاة شرط الإيمان، لأن الصلاة إيمان ولا تتم إلا بطهور، لكن المعنى الأول أحسن وأعم^(٢).

٢- الحديث السابع والعشرون: حديث النّوّاس بن سمعان < عن النبي ﷺ قال: (البر حسن الخلق... الحديث) رواه مسلم^(٣). قال ~: (قوله: «البر»، أي الذي ذكره الله تعالى في القرآن فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢). والبر كلمة تدل على كثرة الخير. وقال: «حسن الخلق» أي حسن الخلق مع الله،

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء: [ح: ٢٢٣ - (١)].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٤٣].

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر، باب تفسير البر والإثم: [ح: ٢٥٥٣ - (١٤)].

وحسن الخلق مع عباد الله. فأما حسن الخلق مع الله: فأن تتلقى أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعاً، فإذا أمرك بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح.

وأيضاً حسن الخلق مع الله في أحكامه القدريّة، فالإنسان ليس دائماً مسروراً، حيث يأتيه ما يحزنه في ماله أو في أهله أو في نفسه أو في مجتمعه، والذي قدر ذلك هو الله عزّ وجل فتكون حسن الخلق مع الله، وتقوم بما أمرت به وتنزجر عما نهيت عنه. أمّا حسن الخلق مع الناس، فقد سبق أنه: بذل الندي، وكف الأذى، والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه. هذا هو البر، والمراد به البر المطلق، وهناك بر خاص كبير الوالدين مثلاً، وهو الإحسان إليهما بالمال والبدن والجاه وسائر الإحسان^(١).

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٩٣ - ٢٩٤].

المبحث الثالث

تقسيمه الشرح إلى مسائل على طريقة السؤال والجواب

يقسّم الشرح إلى مسائل على طريقة السؤال والجواب، فيسأل سؤالاً افتراضياً، ثم يجيب عليه. وقد أكثر من ذلك في شرحه ~. ومن الأمثلة على ذلك:

١- الحديث الثاني: حديث عمر بن الخطاب <، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ دخل علينا رجل شديد بياض الثياب... الحديث^(١). قال ~: (مسألة: هل هذه الشهادة تُدخل الإنسان في الإسلام)؟

الجواب: نعم تدخله في الإسلام. حتى لو ظننا أنه قالها تعوذاً، فإننا نعصم دمه وماله، ولو ظننا أنه قالها كاذباً، ودليل ذلك قصة المشرك الذي أدركه أسامة بن زيد } حين هرب المشرك، فلما أدركه أسامة بالسيف قال: لا إله إلا الله، فقتله أسامة ظناً أنه قالها تعوذاً من القتل، أي قالها لئلا يُقتل، فقتله، فلما أخبر بذلك النبي ﷺ جعل يردد: (أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟) قال: يا رسول الله إنها قالها تعوذاً وجعل ﷺ يردد: (أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟) قال أسامة: فتمنيت أنني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم، من شدة ما وجد <^(٢) ^(٣). وذكر مسألة أخرى ~ في نفس الحديث: قال: (وهنا مسألة: هل وجد التطاول في البنيان أم لا؟)

والجواب: الله أعلم، فإنه قد يوجد ما هو أعظم مما في هذا الزمان، لأن كل أناس وكل جيل يحدث فيه من التطاول والتعالي في البنيان، وكل زمن يقول أهله: هذا من أشراط الساعة، والله أعلم، لكن هذه علامة واضحة^(٤).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان: [ح: ٨].
 (٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد: [ح: ٤٢٦٩]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله: [ح: ٩٦].
 (٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٠-٣١].
 (٤) المرجع السابق: [ص: ٦٧].

المبحث الرابع

تنويحه لطريقة السؤال في المسائل التي يوردها

تنوعت طريقته ~ في إيراد الأسئلة داخل المسائل التي يريد عرضها، ثم الإجابة عليها وأكثرها عقدية أو فقهية، وأحياناً لغوية أو غيرها، فمن الأمثلة على ذلك:

١- الحديث الثاني: حديث عمر <، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب... الحديث.

قال ~: «وأخبر النبي ﷺ أن الله لما خلق القلم قال له: (أكتب. قال رب: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)»^(١). فأمر القلم أن يكتب. قال ~: (ولكن كيف يوجه الخطاب إلى الجهاد؟).

الجواب عن ذلك: نعم، من الله يصح، لأنه هو الذي يُنطق الجهاد ثم إن الجهاد بالنسبة إلى الله عاقل يصح أن يوجه إليه الخطاب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١)^(٢).

٢- وقال في الحديث الثاني أيضاً: «أن تلد الأمة ربتها» وفي لفظ «ربها»، والمعنى: أن تلد الأمة «أي الرقيقة المملوكة» «ربها» أي سيدها، أو «ربتها»، وهل المراد العين أو الجنس؟

قال ~ والجواب: اختلف في هذا العلماء، فمنهم من قال: المراد أن تلد الأمة

(١) أخرجه أحمد: [٣١٧/٥]، وأبو داود في كتاب السنة، باب القدر: [ح: ٤٧٠٠]، والترمذي في كتاب

القدر، باب إعظام أمر الإيمان بالقدر: [ح: ٢١٥٥].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٦٢].

- وأحياناً يورد سؤالاً وجواباً لغوياً في غاية النفاسة والأهمية. مثاله:

قال عند حديث عمر الأول: (إنما الأعمال بالنيات... الحديث) ^(١). قال ~ :
وهنا مسألة: هل هاتان الجملتان بمعنى واحد، أو مختلفتان؟

الجواب: يجب أن نعلم أن الأصل في الكلام التأسيس دون التوكيد، ومعنى التأسيس: أن الثانية لها معنى مستقل، ومعنى التوكيد: أن الثانية بمعنى الأولى. وللعلماء رحمهم الله في هذه المسألة رأيان، أولهما: أن الجملتين بمعنى واحد، فقد قال النبي ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات) وأكد ذلك بقوله: (وإنما لكل امرئ ما نوى). والرأي الثاني: أن الثانية غير الأولى، فالكلام من باب التأسيس لا من باب التوكيد.

* والقاعدة: أنه إذا دار الأمر بين كون الكلام تأسيساً أو توكيداً فإننا نجعله تأسيساً، وأن نجعل الثاني غير الأول، لأنك لو جعلت الثاني هو الأول صار في ذلك تكرار يحتاج إلى أن نعرف السبب.

والصواب: أن الثانية غير الأولى، فالأولى باعتبار المنوي وهو العمل. والثانية باعتبار المنوي له وهو المعمول له، هل أنت عملت لله أو عملت للدنيا. ويدل لهذا ما فرعه عليه النبي ﷺ في قوله: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله) وعلى هذا يبقى الكلام لا تكرار فيه ^(٢).

(١) تقدم تحريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٢ - ١٣].

المبحث الخامس

ربطه الشرح بالواقع المعاصر

~ إن أكثر أمثله ومناقشاته للمسائل تنصب على واقعنا المعاصر، فهو يحاول أن يربط بين معاني الكلمات الواردة في الأحاديث، وواقعنا المعاصر. ومن الأمثلة على ذلك:

١- الحديث العاشر: حديث أبي هريرة < قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً... الحديث)^(١).

قال ~: الأمر بالأكل من الطيبات للمؤمنين والمرسلين.

ويتفرع على هذا فائدة: ذم من امتنع عن الطيبات بدون سبب شرعي، فلو أن إنساناً - بعد أن من الله على الأمة بالغنى وأنواع الثمار والفواكه - قال: أنا لن آكل هذه تورعاً لا لعدم الرغبة، فإنه قد أخطأ وعمله خلاف عمل السلف الصالح، لأن السلف الصالح لما فتحوا البلاد صاروا يأكلون ويشربون أكلاً وشراباً لا يعرفونه في عهد النبي ﷺ، فمن امتنع عن الطيبات بغير سبب شرعي فهو مذموم رادٌ لمنة الله عز وجل عليه^(٢).

٢- الحديث الخامس عشر: حديث أبي هريرة < أن رسول الله ﷺ، قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.. الحديث)^(٣).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب: [ح: ١٠١٥].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٧٠].

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان: [ح: ٦٤٧٥]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار: [ح: ٤٧، ٧٤].

قال ~: والجار: هل هو الملاصق، أو المشارك في السوق، أو المقابل أو ماذا؟.

هذا أيضاً يرجع فيه إلى العرف، لكن قد رُوي أن الجار أربعون داراً من كل جانب^(١). وهذا في الوقت الحاضر صعب جداً.

في عهد النبي ﷺ أربعون داراً مساحتهم قليلة، لكن في عهدنا أربعون داراً قرية، فإذا قلنا إن الجار أربعون داراً والبيوت قصور كان فيها صعوبة، ولهذا نقول: إن صح الحديث فهو مُنَزَّل على الحال في عهد النبي ﷺ، وإن لم يصح رجعنا إلى العرف.

«ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»: الضيف هو النازل بك، كرجل مسافر نزل بك، فهذا ضيف يجب إكرامه بما يعد إكراماً.

قال بعض أهل العلم - رحمهم الله: إنما تجب الضيافة إذا كان في القرى أي المدن الصغيرة، وأمّا في الأمصار والمدن الكبيرة فلا تجب، لأن هذه فيها مطاعم وفنادق يذهب إليها ولكن القرى الصغيرة يحتاج الإنسان فيها إلى مكان يؤويه^(٢).

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: [١/٥١، ح: ١٠٩]، والبيهقي في سننه الكبرى: [١٧٦/٦، ح: ١٢٣٩١].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٠١-٢٠٢].

المبحث السادس

تركيزه ~ على الجوانب العقيدية

ركّز ~ على أمور العقيدة كثيراً وأخصه ما يدور من قضايا عقيدية في عصرنا الحاضر. كما حذّر من البدع كثيراً المحدثه وغيرها، فمن الأمثلة على ذلك:

١- الحديث الثامن والعشرون: حديث العرباض بن سارية <، قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون... الحديث)^(١).

قال ~ بعد أن ذكر السنة السيئة والحسنة، ومثّل بزيادة عثمان < الأذان الأول ليوم الجمعة. ثم تكلم عن الأحزاب، فقال ~:

أنه إذا كثرت الأحزاب في الأمة فلا تنتم إلى حزب، فقد ظهرت طوائف من قديم الزمان مثل الخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة، ثم ظهرت أخيراً إخوانيون وسلفيون وتبليغيون وما أشبه ذلك، فكل هذه الفرق اجعلها على اليسار وعليك بالإمام وما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين».

ولا شك أن الواجب على جميع المسلمين أن يكون مذهبهم مذهب السلف لا الانتفاء إلى حزب معين يسمى السلفيين، والواجب أن تكون الأمة الإسلامية مذهبها مذهب السلف الصالح لا التحزّب إلى ما يسمى «السلفيون».

والواجب أن يجتمع رؤساء هذه الفرق، ويقولون: بيننا كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله ﷺ فلتحاكم إليهما لا إلى الأهواء والآراء، ولا إلى فلان أو فلان، فكلُّ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في لزوم السنة: [ح: ٤٦٠٧]، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: [ح: ٢٦٧٦]، وأحمد: [٤/١٢٦].

يخطئ ويصيب مهما بلغ من العلم والعبادة ولكن العصمة في دين الإسلام^(١).

ثم قال ~: الحث على التمسك بسنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين تمسكاً تاماً، لقوله: «عضوا عليها بالنواجذ»^(٢).

ثم قال ~: أن جميع البدع ضلالة ليس فيها هدى، بل هي شر محض حتى وإن استحسناها من ابتدئها فإنها ليست حسنة لقول النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة» ولم يستثن النبي ﷺ شيئاً^(٣).

٢- الحديث الرابع والثلاثون: حديث أبي سعيد الخدري <، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده... الحديث)^(٤).

قال ~ في استعراض الفوائد من الحديث: أن الإيمان عمل ونية، لأن النبي ﷺ جعل هذه المراتب من الإيمان، والتغيير باليد عمل، وباللسان عمل، وبالقلب نية. وهو كذلك، فالإيمان يشمل جميع الأعمال وليس خاصاً بالعقيدة فقط، فقول النبي ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة) أو قال: (وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق)^(٥).

فقول: لا إله إلا الله قول لسان، وإمطة الأذى عن الطريق فعل الجوارح «والحياء» وهذا عمل قلب «من الإيمان» ولا حاجة أن نقول ما يدور الآن بين الشباب وطلبة العلم: هل الأعمال من كمال الإيمان أو من صحة الإيمان، فهذا السؤال لا داعي له، أي إنسان يسألك ويقول: هل الأعمال شرط لكمال الإيمان أو شرط لصحة الإيمان؟

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٠٨-٣٠٩].

(٢) المرجع السابق: [ص: ٣٠٩].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣١١].

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان: [ح: ٤٩، ٧٨].

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان: [ح: ٩]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان: [ح: ٣٥].

نقول له: الصحابة { أشرف منك وأعلم منك وأحرص منك على الخير، ولم يسألوا الرسول ﷺ هذا السؤال، إذاً يسعك ما وسعهم.

إذا دلّ الدليل على أن هذا العمل يخرج به الإنسان من الإسلام، صار شرطاً لصحة الإيذان، وإذا دلّ دليل على أنه لا يخرج صار شرطاً لكمال الإيذان وانتهى الموضوع، أمّا أن تحاول الأخذ والرد والنزاع، ثم من خالفك قلت: هذا مرجئ. ومن وافقك رضيت عنه، وإن زاد قلت، هذا من الخوارج، وهذا غير صحيح.

فلذلك مشورتني للشباب ولطلاب العلم أن يدعوا البحث في هذا الموضوع، وأن نقول: ما جعله الله تعالى ورسوله ﷺ شرطاً لصحة الإيذان وبقائه فهو شرط، وما لا فلا، ونحسم الموضوع^(١).

٣- الحديث الثامن والعشرون: حديث العرباض بن سارية <، قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون... الحديث)^(٢). قال ~ في الدفاع عن الإمام النووي، وابن حجر، كلام نفيس ينبغي أن يُستشعر، وأن يتداول بين طلاب العلم.

قال: وأضرب مثلاً بحافظين معتمدين موثوقين بين المسلمين وهما: النووي وابن حجر...

قال عن النووي: ولكنه ~ أخطأ في تأويل آيات الصفات حيث سلك فيها مسلك المؤولة، فهل نقول إن الرجل مبتدع؟ نقول: قوله بدعة، لكن هو غير مبتدع، لأنه في الحقيقة متأول، والمتأول إذا أخطأ مع اجتهاده فله أجر. فكيف نصفه بأنه مبتدع وننفر الناس منه، والقول غير القائل، فقد يقول الإنسان كلمة الكفر ولا

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٦٦-٣٦٧].

(٢) تقدّم تحريجه.

يكفر^(١).

ثم قال ~ : أما الحافظ الثاني: فهو ابن حجر ~ وابن حجر حسب ما بلغ علمي متذبذب في الواقع، أحياناً يسلك مسلك السلف، وأحياناً يمشي على طريقة التأويل التي هي في نظرنا تحريف.

مثل هذين الرجلين هل يمكن أن نقدح فيهما؟ أبداً، لكننا لا نقبل خطأهما، خطأهما شيء واجتهادهما شيء آخر^(٢).

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣١٤-٣١٥].

(٢) المرجع السابق: [ص: ٣١٥].

المبحث السابع

توسعه في الجوانب الفقهية

لقد توسع ~ في الحديثين الأولين توسعاً ملحوظاً، لما يحتويهما عليه من مسائل عقديّة وفقهية مهمة.

١- الحديث الأول: حديث عمر <: (إنما الأعمال بالنيات)^(١).

توسع كثيراً في مسألة «النية» وأنه يفرق بها بين العادات والعبادات.

فقال ~: والمقصود من هذه النية تمييز العادات من العبادات، وتمييز العبادات بعضها من بعض.

وتمييز العادات من العبادات مثاله:

أولاً: الرجل يأكل الطعام شهوة فقط، والرجل الآخر يأكل الطعام امتثالاً لأمر الله عزّ وجل في قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ (الأعراف: ٣١). أكل الثاني عبادة، وأكل الأول عادة.

ثانياً: الرجل يغتسل بالماء تبرداً، والثاني يغتسل بالماء من الجنابة، فالأول عادة، والثاني: عبادة، ولهذا لو كان على الإنسان جنابة ثم انغمس في البحر للتبرّد ثم صلى فلا يجزئه ذلك، لأنه لا بد من النية، وهو لم ينو التعبد وإنما نوى التبرّد. ولهذا قال بعض أهل العلم: عبادات أهل الغفلة عادات، وعادات أهل اليقظة عبادات^(٢). ثم تكلم ~ عن النية، وأن محلها القلب فلا ينطق بها. ثم قال: وهنا مسألة: إذا قال قائل: قول الملبّي: لبيك اللهم عمرة، ولبيك حجّاً، ولبيك اللهم عمرة وحجّاً،

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٣].

أليس هذا نطقاً بالنية؟

فالجواب: لا، هذا من إظهار شعيرة النُّسك، ولهذا قال بعض العلماء: إن التلبية في النسك كتكبيرة الإحرام في الصلاة، فإذا لم تلبَّ لم ينعقد الإحرام، كما أنه لو لم تكبر تكبيرة الإحرام للصلاة ما انعقدت صلاتك^(١).

٢- الحديث الثاني: حديث عمر < (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ... الحديث)^(٢).

فقد توسع ~ في عدد من النقاط، ومنها: عند قوله: «أن محمداً رسول الله». قال ~: أي أن تشهد أنه رسول الله، أي مُرْسِلُهُ إلى الخلق، والرسول هو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، وكان الناس قبل نوح على ملة واحدة لم يحتاجوا إلى رسول، ثم كثروا واختلفوا، فكانت حاجتهم إلى الرسل، فأرسل الله تعالى الرسل، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣)، فالرسل إنما بعثت حين اختلف الناس ليحكموا بينهم بالحق^(٣).

ثم قال ~: شهادة أن محمداً رسول الله تستلزم أموراً منها^(٤).

ثم ذكر عدداً من النقاط التي يتحتم تحقيقها للإقرار بشهادة «أن محمداً رسول الله».

(١) المرجع السابق: [ص: ١٥].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٢].

(٤) المرجع السابق: [ص: ٣٣-٣٩].

المبحث الثامن

كثرة ضربه للأمثلة من الواقع مع تنويعها

أكثر ~ من ضربه الأمثلة في أكثر المسائل التي تحتاج إلى إيضاح أكثر. وأغلب أمثلته من الواقع المعاصر الذي يعرفه الناس، ويزاولونه في حياتهم. فمن الأمثلة على ذلك:

١- الحديث الثامن والعشرون: حديث العرباض بن سارية <، قال: (وعظنا رسول الله ﷺ... الحديث) (١). تحدّث ~ عن البدعة الحسنة وإيضاح معناها.. قال ~: ومثال آخر قول جماعة: إن الميكرفون الذي يؤدي الصوت إلى البعيد بدعة ولا يجوز العمل به؟

فنقول: هو وسيلة حسنة، لأنه يوصل إلى المقصود، وقد اختار النبي ﷺ للأذان مَنْ هو أندى صوتاً (٢)، لأنه يبلغ أكثر، وقال للعباس < في غزوة حنين: (نادي يا عباس) (٣)، لأنه كان صيتاً <.

إذاً رفع الصوت مطلوب، وهذه وسيلة من وسائله، ولهذا لما رُكِّبَ الميكرفون «مكبر الصوت» في المسجد - الجامع الكبير بعنيزة - أول ما رُكِّبَ على زمن شيخنا عبدالرحمن بن سعدي ~ خطب في ذلك خطبة وأثنى على الذي أتى به، وهو

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب كيف الأذان: [ح: ٤٩٩]، والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان: [ح: ١٨٩]، وابن ماجه في كتاب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان: [ح: ٧٠٦]، وأحمد: [٤٣/٤].

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب كيف الأذان: [ح: ٤٩٩]، والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان: [ح: ١٨٩]، وابن ماجه في كتاب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان: [ح: ٧٠٦]، وأحمد: [٤٣/٤].

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين: [ح: ١٧٧٥].

أحد المحسنين ~ وقال: هذا من النعمة. وصدق، وهو من النعمة لأنه وسيلة إلى أمر مقصود^(١).

٢- الحديث الثاني والثلاثون: حديث أبي سعيد الخدري < أن رسول الله ﷺ، قال: (لا ضرر ولا ضرار)^(٢).

قال ~: «ولا ضرار» أي ولا مضارة، والفرق بين الضرر والضرار: أن الضرر يحصل بدون قصد، والمضارة بقصد، ولهذا جاءت بصيغة المفاعلة. مثال ذلك: رجل له جار وعنده شجرة يسقيها كل يوم، وإذا بالماء يدخل على جاره ويفسد عليه، لكنه لم يعلم، فهذا نسميه ضرراً. مثال آخر: رجل بينه وبين جاره سوء تفاهم، فقال: لأفعلنَّ به ما يضره، فركب موتوراً له صوت كصوت الدرक्टर عند جاره وقصده الإضرار بجاره، فهذا نقول مضاراً^(٣).

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣١٢].

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٥٣].

نيتة»، ولا يمكن أبداً أن يكون الجهاد فرض عين لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾، فلو كان فرض عين لوجب على جميع المسلمين، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾، أي وقعدت طائفة، ﴿لَيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

ولكن باختلاف الفاعل واختلاف الزمن، قد نقول لشخص: الأفضل في حقك الجهاد، ولآخر الأفضل في حقك العلم، فإذا كان شجاعاً قوياً نشيطاً وليس بذاك الذكي فالأفضل له الجهاد، لأنه أليق به، وإذا كان ذكياً حافظاً قوي الحجّة فالأفضل له العلم، وهذا باعتبار الفاعل.

أمّا باعتبار الزمن فإننا إذا كنّا في زمن كثر فيه العلماء واحتاجت الشعوب إلى مرابطين فالأفضل الجهاد، وإن كنّا في زمن تفسّى فيه الجهل وبدأت البدع تظهر في المجتمع وتنتشر فالعلم أفضل، وهناك ثلاثة أمور تحتم على طالب العلم:

- ١- بدع بدأت تظهر شرورها.
 - ٢- الإفتاء بغير علم.
 - ٣- جدل كثير في مسائل بغير علم.
- وإذا لم يكن مرجح فالأفضل العلم^(١).

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢١-٢٢].

وضع إبهامه وسبابته على العين والأذن^(١).

نقول: بلى، لكن أنت لست رسولاً حتى تفعل هذا، ثم المقصود من وضع الرسول ﷺ أصبعيه تحقيق السمع والبصر فقط. وأكرر أن باب الصفات باب عظيم، أحذر أن تزل، فتحت رجلك هوة، والأمر صعب جداً.

يقول آخرون في قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (الزمر: ٦٧)، فيشير بيده قابضاً لها على شيء - أعوذ بالله - والآخرون يقولون: قبضته أي تحت تصرفه، والفرق بينهما عظيم.

فعلى كل حال، أكرر: احذروا في باب الصفات أن تخوضوا في شيء لم يتكلم فيه السلف الصالح.

يقول بعض العلماء: (من لم يسعه ما وسع الصحابة والتابعين فلا وسع الله عليه)^(١).

٢- وفي الحديث الثاني أيضاً:

قال ~... وهذه المناسبة أود أن أنبه على كلمة دارجة عند العوام، حيث يقولون «يا مَنْ أمره بين الكاف والنون»، وهذا غلط عظيم. والصواب: «يا مَنْ أمره بعد الكاف والنون»، لأن ما بين الكاف والنون ليس أمراً، فالأمر لا يتم إلا إذا جاءت الكاف والنون لأن الكاف المضمومة ليست أمراً والنون كذلك، لكن باجتماعهما تكون أمراً.

فالصواب أن تقول: «يا مَنْ أمره - أي مأموره - بعد الكاف والنون» كما قال

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب الجهمية: [ح: ٤٧٢٨].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٨ - ٤٩].

تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي
بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ (يس: ٨٢-٨٣).

المهم أنه يجب علينا أن نؤمن باليوم الآخر وإن كانت العقول الضعيفة تستبعده،
لأن الله تعال إذا أمر حصل هذا فوراً، كما قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَّاحِدَةً﴾ (يس: ٥٣)، فصيحة واحدة تأتي الخلائق كلها^(١).

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٧٦-٧٧].

المبحث الحادي عشر

ذكره لبعض القصص المهمة

يذكر ~ في عرضه لبعض القضايا أو المسائل قصصاً واقعية في الحاضر أو الماضي تقرّب المسألة لفهوم السامع. ومن الأمثلة على ذلك:

١- ذكر قصة تتعلق بالرؤى في عهد الصحابة، ثم أعقبها بقصة أخرى من الواقع المعاصر عند الحديث الثاني: حديث عمر <: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجلٌ... الحديث)^(١)... فذكر قصة ثابت بن قيس <. فقال ~: (وقع في قصته < أيضاً مسألة غريبة: مرَّ به أحد الجنود وهو ميت وعلى ثابت < درع جيد، فأخذ الجندي الدرع منه ثم ذهب به إلى رحله وجعل عليه برمة - البرمة قدر من الخزف - وفي الليل رأى أحد أصحاب ثابت ثابتاً < في المنام وأخبره الخبر وقال له: مرَّ بي رجل من الجند وأخذ درعي ووضعه تحت برمة في طرف العسكر وحوله فرس تستن، أي رافعة إحدى قوائمها. فلما أصبح الرجل الذي رأى هذه الرؤيا أخبر بها القائد خالد بن الوليد <، فأرسله إلى المكان، ولما أرسله إلى المكان وجد الأمر كما قال ثابت - فسبحان الله العظيم - ما الذي أعلم ثابتاً وهو ميت، لكن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، فأخذ الدرع).

كما أن ثابتاً < أوصى بوصية بعد موته، وأُبلغت أبا بكر < فنقذ الوصية^(٢)، قالوا: ولا يوجد أحد نقذت وصيته التي أوصى بها بعد موته إلا ثابت بن قيس

(١) تقدّم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: [ح: ١٣٠٧]، والحاكم في المستدرک: [٣/ ٢٣٥].

ك، لكن يشكل على هذا كيف نعتبر الرؤيا في تنفيذ الوصية؟

والجواب: أنه إذا دلَّت القرائن على صدق الرؤيا نفَّذت الوصية ولا حرج. ولقد حدَّثني رجل أثق به يقول: إنه مات أبوه وكان قد استأجر البيت الذي تركه بعد موته لمدة كذا سنة، فلما مات أتى أهل البيت الذين يملكون رقبة البيت وقالوا للورثة: اخرجوا عن البيت، البيت بيتنا، فقالوا: لن نخرج، بين مورثنا وبينكم عقد لم ينته بعد، فقالوا: بل انتهى العقد، ففزع الورثة من هذه الدعوى وضاعت بهم الأرض، يقول: فلما كان ذات ليلة رأيتُ في المنام أن أبي أطلَّ علينا من فرجة المجلس، وقال لهم: العقد في أول صفحة من الدفتر لكنه لاصق في جلدة الدفتر، فلما أصبح وفتح أول صفحة وجد العقد.

سبحان الله، فالله تعالى قد يخبر بعض الموتى ببعض ما يحصل على أهله، لكن هذه مسائل ليست لكل أحد^(١).

٢- ذكر قصة تدل على احترام السلف بعضهم لبعض حتى ولو كانوا أقل منهم، وعلى النصيحة حتى ولو كانت مع الأئمة، عند الحديث الثاني أيضاً:

فقال ~: وذكر أن رجلاً دخل على الإمام أحمد بن حنبل ~ فقيه المحدثين ومحدث الفقهاء وإمام أهل السنة، ودخل عليه وهو يئن من الوجع، فقال له: يا أبا عبدالله تنن وقد قال طاووس: إن الملك يكتب حتى أنين المريض، فأمسك الإمام أحمد ~ عن الأنين. وهذا من تعظيم آثار السلف عند السلف^(٢).

٣- وذكر قصة تدل على جواز التورية من الواقع المعاصر، في الحديث الخامس والثلاثين: حديث أبي هريرة <، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تحاسدوا ولا

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٧-٣٩].

(٢) المرجع السابق: [ص: ٥١].

تناجشوا... الحديث^(١).

قال ~ عند ذكره الفوائد، وذكر التورية وحكمها: وجرت لشيخنا عبدالرحمن ابن سعدي ~ قصة حول هذا الموضوع، جاءه رجل في آخر شهر ذي الحجة، أي باقي أيام على انقضاء السنة، وقال له: يا شيخ نريد وعداً، فقال: هذه السنة لا يمكن أن أواعدك فيها، فظن المتكلم أنها اثنا عشر شهراً، فغضب، ولما رآه الشيخ غضب قال له: لم يبق في السنة إلا عشرة أيام أو نحوها، فاقتنع الرجل، فمثل هذا لا بأس به أحياناً إذا أخبر صاحبه^(٢).

٤- ذكره لقصة من الواقع المعاصر تدل على الأجل، وأنه محدود ولا يتقدم ولا يتأخر، في الحديث الرابع: حديث عبدالله بن مسعود <، أن رسول الله ﷺ، قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه... الحديث)^(٣).

قال ~: وهذا الأجل لا يتقدم لحظة ولا يتأخر، فإذا تمَّ الأجل انتهت الحياة، وأذكر لكم قصة وقعت في عنيزة: مرَّ دَبَّابٌ أي درَّاجة نارية بتقاطع، وإذا بسيارة تريد أن تقطع، فوقف صاحب الدَبَّاب ينتظر عبور السيارة، والسيارة وقفت تنتظر عبور الدَبَّاب، ثم انطلقا جميعاً فصدَّم الدَبَّاب ومات الراكب الرديف الذي وراء السائق. فتأمل الآن وقف هذه الدقيقة من أجل استكمال الأجل «سبحان الله». قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ١١). وقال ﷺ: (لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها)^{(٤) (٥)}.

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله: [ح: ٢٥٦٤ (٣٢)].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٨٢].

(٣) تقدّم تحريجه.

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب: [ح: ٢١٤٤].

(٥) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠٢].

المبحث الثاني عشر

كلامه عن بعض قضايا طبية، أو تاريخية

١- مثال على قضية طبية: في الحديث الرابع، حديث عبدالله بن مسعود < قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة... الحديث)^(١).

قال ~ عند كلامه عن النطفة: وقد يقول قائل: هذه النطفة هل يجوز إلقاؤها أو لا يجوز؟

والجواب: ذكر الفقهاء رحمهم الله أنه يجوز إلقاؤها بدواء مباح، قالوا: لأنه لم يتكون إنساناً، ولم يوجد فيه أصل الإنسان وهو الدم.

وقال آخرون: لا يجوز؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (المرسلات: ٢١-٢٢)، فلا يجوز أن نتجاسر على هذا القرار المكين ونخرج الجنين منه، وهذا أقرب إلى الصواب أي أنه حرام، لكنه ليس كتحریم ما بعد بلوغه أربعة أشهر.

فإذا قُدر أن المرأة مرضت وخيف عليها، فهل يجوز إلقاء هذه النطفة؟

الجواب: نعم يجوز، لأن إلقاءها الآن صار ضرورياً^(٢).

ثم أطال الكلام حول العلقه، والمضغة وأحكامهما.

٢- مثال على قضية تاريخية: الحديث الثاني، حديث عمر } : (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ... الحديث)^(٣).

(١) تقدّم تحريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ١٠٦].

(٣) تقدّم تحريجه.

قال ~ في كلامه عن الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن أولهم نوح عليه السلام:

ولهذا كان أول الرسل نوحاً عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ. فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله، ولا بد أن نؤمن بأنه خاتم النبيين ﷺ^(١).

ثم قال ~: ومما سبق يُعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا: إن هناك رسولاً أو أكثر قبل نوح، فليس قبل نوح عليه السلام رسول بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (النساء: ١٦٣)، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ (الحديد: ٢٦)، أي في ذريتهم خاصة.

ومن السنة ما جاء في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: (أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض)^(٢)، فعقيدتنا أن أول الرسل نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ فمن ادعى النبوة بعد محمد ﷺ فحكمه أنه كافر، لقول الله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، ولم يقل سبحانه «وخاتم الرسل»، مع أنه قال «رسول الله» بالأول، إذا كان خاتم النبيين فهو خاتم الرسل، إذ لا رسالة إلا بعد النبوة، فإذا انتفت النبوة من بعده فالرسالة من باب أولى^(٣).

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٢].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (ولقد أرسلنا نوحاً (الأرواح جنود مجنودة: [ح: ٣١٦٢]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: [ح: ١٩٤].

(٣) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٣].

المبحث الثالث عشر

تردده في بعض المسائل الفقهية، أو رجوعه عن قوله إلى قول غيره

١- مثال تردده في المسألة: الحديث الثامن، حديث ابن عمر } أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله... الحديث) (١).
وذكر مسألة تتعلق بالقيام بالصلاة:

قال ~: وهنا سؤال: لو كان يستطيع أن يصلي قائماً لكنه لا يستطيع أن يكمل القيام إلى الركوع، بمعنى أن يبقى قائماً دقيقة أو دقيقتين ثم يتعب ويجلس، فهل نقول: اجلس. وإذا قارب الركوع قم، أو نقول: ابدأ الصلاة قائماً وإذا تعبت اجلس؟

الجواب: هذا فيه تردد عندي، لأن النبي ﷺ حين أخذه اللحم كان يصلي في الليل جالساً فإذا بقي عليه آيات قام وقرأ ثم ركع (٢). وهذا يدل على أنك تقدم القعود أولاً ثم إذا قاربت الركوع فقم.

لكن يردّ على هذا أن النفل يجوز أن يصلي الإنسان فيه قاعداً، فإذا قارب الركوع قام.

والفريضة الأصل فيها أن يصلي قائماً، فنقول: ابدأها قائماً ثم إذا تعبت فاجلس، لأنك ربما تعتقد أنك لا تستطيع القيام كله، ثم تقدر عليه، فنقول: ابدأ الآن بما تقدر عليه وهو القيام، ثم إن عجزت فاجلس، وهذا أقرب.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة: [ح: ٢٥]، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيموا الصلاة: [ح: ٣٦ (٢٢)].

(٢) أخرجه البخاري في كتاب تقصير الصلاة، باب إذا صلى قاعداً: [ح: ١٠٦٨]، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائماً وقاعداً: [ح: ٧٣١].

لكنني أرى عمل الناس الآن في المساجد بالنسبة للشيوخ والمرضى، يصلي جالساً فإذا قارب الركوع قام، ولا أنكر عليهم لأنني ليس عندي جزم أو نص بأنه يبدأ أولاً بالقيام ثم إذا تعب جلس، لكن مقتضى القواعد أنه يبدأ قائماً فإذا تعب جلس^(١).

٢- مثال رجوعه عن قوله إلى قول غيره:

الحديث الثالث والعشرون، حديث أبي مالك الأشعري < قال: قال رسول الله ﷺ: (الطهور شرط الإيمان.... الحديث)^(٢).

قال ~ عند قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ (الواقعة: ٧٨).

وكونه في كتاب مكنون هل معناه أن القرآن كله كتب في اللوح المحفوظ، أو أن المكتوب في اللوح المحفوظ ذكر القرآن وأنه سينزل وسيكون كذا وكذا؟

الجواب: الأول، لكن يبقى النظر كيف يكتب قبل أن تخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وفيه العبارات الدالة على الماضي مثل قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدَ لِلْقِتَالِ ﴾ (آل عمران: ١٢١)، ومثل قوله: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ﴾ (المجادلة: ١)، وهو حين كتابته قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة لم يسمع قولها، لأن المجادلة لم تخلق أصلاً حتى تُسمع مجادلتها؟

فالجواب: أن الله قد علم ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ، كما أنه علم المقادير وكتبها في اللوح المحفوظ، وعند تقديرها يتكلم الله عز وجل بقوله كن فيكون، هكذا قرره شيخ الإسلام ابن تيمية ~ وهو مما تطمئن له النفس.

وكنت من قبل أقول: إن الذي في اللوح المحفوظ ذكر القرآن لا القرآن، بناءً على أنه يرِدُ بلفظ الماضي قبل الوقوع، وأن هذا كقوله تعالى عن القرآن: ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي

(١) شرح الأربعين النووية.

(٢) تقدّم تحريجه في صفحة: ٢٥.

ذُرُّ الْأَوْلِينَ ﴿﴾ (الشعراء: ١٩٦)، والذي في زبر الأولين ليس القرآن، بل ذُكِرَ القرآن والتنويه عنه، ولكن بعد أن اطلعتُ على كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - جزاه الله خيراً - انشرح صدري إلى أنه مكتوب في اللوح المحفوظ ولا مانع من ذلك، ولكن الله تعالى عند إنزاله إلى محمد ﷺ يتكلم به ويلقيه إلى جبريل. وهذا قول أهل السلف وأهل السنة في القرآن^(١).

(١) شرح الأربعين النووية: [ص: ٢٤٩ - ٢٥٠].

المبحث الرابع عشر

اعتماده في شرحه للأحاديث على فهمه واستنباطه

يعتمد ~ في شروحه للأحاديث على فهمه واستنباطه فقل أن ينقل قولاً لأحد، وهذا هو الغالب عنده ~، وأحياناً يذكر القول وينسبه لعامة العلماء، فيقول: قال العلماء، أو يقول العلماء، وهو الغالب من نقوله ~ مستشهداً لقوله أو ذاكراً من يعارضه من قول آخر. فمن أمثلة ذلك:

١- الحديث التاسع والعشرون: حديث معاذ بن جبل <، قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: (لقد سألت عن عظيم... الحديث)^(١).

قال ~: (أجاب العلماء، رحمهم الله، فقهاء الإسلام، أطباء القلوب والأبدان، ممن علمهم الله ذلك - فقالوا: الباء لها معنيان: تارة تكون للسببية، وتارة تكون للعوض)^(٢).

٢- الحديث السابق أيضاً:

قال ~: وقال بعض أهل العلم: في حال فعل الطاعة يغلب جانب الرجاء، وفي حال الهمّ بالمعصية يغلب جانب الخوف، وهذا حسن^(٣).

وأحياناً ينسب القول إلى قائله، ويحدد موقعه، وأكثر ما نقله عن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمه الله. فمن أمثلة ذلك:

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة: [ح: ٢٦١٦]، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان: [ح: ٣٩٧٣]، وأحمد: [٥/ ٢٣١].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٣٢٤].

(٣) المرجع السابق: [ص: ٣٣٠].

١- الحديث الثاني: حديث عمر <: (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ... الحديث) (١).

نقل ~ كلام شيخ الإسلام؟، فقال عند الحديث عن اليوم الآخر: قال شيخ الإسلام ابن تيمية ~ في العقيدة الواسطية: ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، مثل الفتنة في القبر. فإن الناس يفتنون في قبورهم ويسألون عن ثلاثة أشياء: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ (٢).

٢- الحديث الثاني أيضاً:

فقد نقل ~ كلام ابن القيم ~، في مسألة نفقة الحج عن الميت، فقال: وهنا مسألة: هل يجب على ورثته أن يخرجوا الحج عنه من تركته؟ والجواب: لا، لأنه لا ينفعه ولم يتعلق به حق الغير كالزكاة، قال ابن القيم في تهذيب السنن: «هذا هو الذي ندين الله به» أو كلمة نحوها، وهو الذي تدل عليه الأدلة (٣).

- وأحياناً ينقل كلاماً لهما، ويشير إلى اختلافهما في القضية. مثاله:

الحديث الثاني أيضاً:

قال ~ عند الكلام عن القدر: أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية ~ بجواب، وأجاب تلميذه ابن القيم ~ بجواب آخر.

شيخ الإسلام قال: إن آدم عليه الصلاة والسلام فعل الذنب، وصار ذنبه سبباً

(١) تقدّم تحريجه.

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٦٠].

(٣) المرجع السابق: [ص: ٧٢].

لخروجه من الجنة، لكنه تاب من الذنب، وبعد توبته اجتباه الله وتاب عليه وهداه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن المحال أن موسى عليه الصلاة والسلام - وهو أحد أولي العزم من الرسل - يلوم أباه على شيء تاب منه ثم اجتباه الله بعده وتاب عليه وهداه، وإنما اللوم على المصيبة التي حصلت بفعله، وهي إخراج الناس ونفسه من الجنة، فإن سبب هذا الإخراج هو معصية آدم، على أن آدم عليه السلام لا شك أنه لم يفعل هذا ليخرج من الجنة حتى يلام، فكيف يلومه موسى؟

وهذا وجه ظاهر في أن موسى عليه السلام لم يرد لوم آدم على فعل المعصية، إنما على المعصية التي هي من قدر الله، وحينئذ يتبين أنه لا حجة في الحديث لمن يستدل على فعل المعاصي، إذ أنه احتج على المعصية وهي الإخراج من الجنة، ولهذا قال: أخرجتنا ونفسك من الجنة ولم يقل: عصيت ربك، فهنا كلام موسى مع أبيه آدم على المعصية التي حصلت، وهي الإخراج من الجنة، وإن كان السبب هو فعل آدم. وقال ~: اللوم على المصائب وعلى المعائب إن استمر الإنسان فيها.

أمَّا تلميذه ابن القيم ~ فأجاب بجواب آخر. قال: إن اللوم على فعل المعصية بعد التوبة منها غلط، وإن احتجاج الإنسان بالقدر بعد التوبة من المعصية صحيح. فلو أن إنساناً شرب الخمر، فجعلت تلومه وهو قد تاب توبة صحيحة، وقال هذا أمر مقدر عليّ وإلا لست من أهل شرب الخمر، وتجد عنده من الحزن والندم على المعصية شيئاً عظيماً، فهذا يقول ابن القيم: لا بأس به.

وأمَّا الاحتجاج بالقدر الممنوع فهو: أن يحتج بالقدر ليستمر على معصيته، كما فعل المشركون، أمَّا إنسان يحتج بالقدر لدفع اللوم عنه مع أن اللوم قد اندفع بتوبته فهذا لا بأس به.

وهذا الجواب جواب واضح يتصوره الإنسان بقرب، وإن كان كلام شيخ الإسلام ~ أسد وأصوب، لكن لا مانع بأن يُجاب بما أجاب به العلامة ابن القيم.

وقال ابن القيم: نظير هذا أن النبي ﷺ حين طرق ابنته فاطمة وابن عمه علياً
 } ليلاً فوجدهما نائمين، فقال: (ألا تُصليان؟) فكأنه عاب عليهما، أي لماذا لم
 تقوموا لصلاة التهجد. فقال علي <: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله عز وجل فإذا
 شاء أن يبعثنا، بَعَثَنَا، فخرج النبي ﷺ وهو يضرب على فخذه ويقول: ^(١) ﴿وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: ٥٤)، لأن علياً < دافع عن نفسه بأمر
 انتهى وانقضى ^(٢).

- وأحياناً ينقل كلاماً لشيخه عبدالرحمن السعدي ~، مثاله:

الحديث التاسع والثلاثون: حديث ابن عباس }، أن رسول الله ﷺ، قال:
 (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ... الحديث) ^(٣).

قال ~: وكان شيخنا عبدالرحمن بن سعدي ~ يقول في المسائل
 الخلافية: إذا كان الإنسان قد فعل وانتهى فلا تعامله بالأشد، بل انظر للأخف
 وعامله به، لأنه انتهى ولكن انه أنه أن يفعل ذلك مرة أخرى. والله الموفق ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل: [ح: ١٠٧٥]، ومسلم في
 كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح: [٢٠٦ (٧٧٥)].

(٢) شرح الأربعين النووية: [ص: ٨٤-٨٥].

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي: [ح: ٢٠٤٥]، والبيهقي: [٧/٣٥٦-
 ٣٥٧]، والدارقطني: [٤/١٧٠]، وابن حبان في صحيحه: [١٦/٢٠٢، ح: ٧٢١٩].

(٥) شرح الأربعين النووية: [ص: ٤٢١].

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمَّا بعد:

فبعد هذه الرحلة والتفتيش والإمعان للتعرف على طريقة شيخنا سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ~ لشروحه للأحاديث من خلال شرحه لكتاب «الأربعون النووية»، أستخلص ما يلي:

١- الذي يظهر من خلال تصفُّح الكتاب، واستعراض مسائله والإجابة عما يرد من أسئلة افتراضية في ذلك، أنه لم يُرد التأليف لذاته، وإنما كان ذلك شرحاً عابراً عبر دورة علمية أقامها في المسجد ~ وقد أوكل التصحيح والتخريج لبعض طلابه للعناية بها.

٢- حثَّ ~ في مقدمته على العناية بكتاب «الأربعون النووية». وقال: ينبغي لطالب العلم أن يحفظها؛ لأنها منتخبة من أحاديث عديدة، وفي أبواب متفرقة بخلاف غيرها من المؤلفات.

٣- دافع ~ عن الإمام النووي في عقيدته، رغم انتقاده له في قوله ببعض الصفات بقول الأشاعرة، ثم أثنى عليه وامتدحه.

٤- سلك ~ مسلك السؤال والجواب في القضايا التي يريد طرحها والإجابة عليها لتقريب القضية للسامع.

٥- ركَّز ~ على القضايا العقدية، لمعرفة أهميتها، وتوسع في ضرب الأمثلة من الواقع لتقريب المفهوم للسامع.

٦- تكلّم ~ عن بعض المسائل الحديثية، وأجاب عنها وأكثره بإيجاز، وإشارته إلى أن المقام لا يسمح بالتوسع.

٧- اهتم ~ بالمسائل اللغوية، والبلاغية إذا احتاج الأمر إلى إيضاها.

٨- ربطه الشرح بالواقع المعاصر في أكثر إجاباته وضرّبه للأمثلة في ذلك.

٩- يعتمد ~ في أكثر الأحيان في شرحه على مفهومه للحديث. فقلّ أن ينقل قولاً لأحد من العلماء، على أنه أكثر ما نقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم من بعده تلميذه ابن القيم.

١٠- تراجع عن قوله إلى قول شيخ الإسلام ابن تيمية؟ في مسألة: قوله تعالى: ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴾ (الواقعة: ٧٨).

هذا ما توفر لديّ من نتائج، أسأله تعالى أن يصلح النية، وأن يجعل العمل خالصاً لوجهه، وأن يغفر لشيخنا ووالديه، الذي ملأ الدنيا بحثاً وتنقيباً وشرحاً وتأصيلاً، ثم وُفق بتلاميذ ومحبين له بنشر كتبه، وإظهار ثروته العلمية. جعلها الله له نوراً في قبره، وعلواً في درجته يوم يلقاه، وأن يجمعنا به وبوالدينا وذرياتنا وأزواجنا وأصحابنا وجميع المسلمين في جنات النعيم.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.